علمي معي حيث ما يممت ينفعني … قلبي وعاء له لا بطن صندوق
ان كنت في البيت كان العلم فيه معي … او كنت في السوق كان العلم في السوق

وربما اعتنى المتعلم بالحفظ من غير تصور ولا فهم حتى يصير حافظا لالفاظ المعاني قيما بتلاوتها وهو لا يتصورها ولا يفهم ما تضمنها يروي بغير روية ويخبر عن غير خبرة فهو كالكتاب الذي لا يدفع شبهة ولا يؤيد حجة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال همة السفهاء الرواية وهمة العلماء الرعاية وقال ابن مسعود رضي الله عنه كونوا للعلم رعاة ولا تكونوا له رواة فقد يرعوي من لا يروي ويروي من لا يرعوي وحدث الحسن البصري بحديث فقال له رجل يا ابا سعيد عن من قال ما تصنع بعن من اما انت فقد نالتك عظته وقامت عليك حجته وربما اعتمد على حفظه وتصوره واغفل عن تقييد العلم في كتبه ثقة بما قد استقر في نفسه وهذا خطأ منه لان الشك معترض والنسيان طارئ وقد روى انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قيدوا العلم بالكتاب وروي ان رجلا شكا الى النبي صلى الله عليه وسلم النسيان فقال استعمل يدك اي اكتب حتى ترجع اذا نسيت الى ما كتبت وقال الخليل بن احمد اجعل ما في الكتب راس المال وما في قلبك للنفقة وقال منصور لولا ما عقدته الكتب من تجارب الاولين لانحل مع النسيان عقود الاخرين وقال بعض البلغاء ان هذه الاداب نوافر تند عن عقل الاذهان فاجعلوا الكتب عليها حماة والاقلام لها رعاة واما الطارئ فنوعان احدهما شبهة يعترض المعنى فتمنع من تصوره وتدفع عن ادراك حقيقته فينبغي ان يزيل تلك الشبهة عن نفسه بالسؤال والنظر ليصل الى تصور المعنى وادراك حقيقته ولذلك قال بعض الحكماء لا تخل قلبك من المذاكرة فتعود عقيما ولا تعف طبعك من المناظرة فتصير سقيما وقال بشار

شفاء العمى طول السؤال وانما … دوام العمى طول السكوت على الجهل

والثاني افكار تعارض الخاطر فيذهل عن تصور المعنى وهذا سبب قلما يعرى منه احد لا سيما من انبسطت آماله واتسعت امانيه وقد يقل في من لم يكن له في غير العلم ارب ولا فيما سواه همة فان طرأت على الانسان لم يقدر على مكابرة نفسه على الفهم وغلبة قلبه على التصور لان القلب مع الاكراه اشد نفورا وابعد قبولا وقد جاء الاثر

ان القلب

ان القلب اذا اكره عمي ولكن يعمل في دفع ما طرأ عليه من هموم ذهل او فكر [illegible] له القلب مطيعا قال الشاعر

[illegible] في المودة شافع … اذا لم يكن بين الضلوع شفيع

[illegible] ان هذه القلوب تنافر كتنافر الوحش فتألفوها بالاقتصاد [illegible] وسط في التقويم لتحسن طاعتها ويدوم نشاطها فهذا تعليل ما في [illegible] الاسباب المانعة في فهم المعاني وهاهنا قسم رابع يمنع من معرفة الكلام وفهم معانيه لكنه قد يعرى من بعض الكلام فلذلك لم ندخله في جملة اقسامه ولم نستجز الاخلال بذكره وهو الخط لان من الكلام ما كان مسموعا لا يحتاج في فهمه الى تأمل الخط فيه والمانع له من فهمه هو على ما ذكرنا من اقسامه ومنه ما كان مستودعا بالخط محفوظا بالكتابة مأخوذا بالاستخراج فكان [illegible] حافظا له ومعبرا عنه وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى او اثارة من علم قال الخط وروي عن مجاهد في قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء قال الخط [illegible] يؤتي الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا يعني الخط والعرب تقول الخط احد اللسانين وحسنه احدى الفصاحتين وقال جعفر بن يحيى الخط سمط الحكمة به تفصل شذورها وينظم منثورها وقال ابن المقفع اللسان مقصور على القريب الحاضر والقلم على الشاهد والغائب وهو للغابر الكائن مثله للقائم الراهن وقال حكيم الروم الخط هندسة روحانية وان ظهر بآلة جسدانية وقال حكيم العرب الخط اصل في الروح وان ظهر بحواس الجسد

واختلف في اول من كتب الخط فذكر كعب الاحبار ان اول من كتب ادم عليه السلام كتب سائر الكتب قبل موته بثلاثمائة سنة في طين ثم طبخه فلما غرقت الارض في زمن نوح عليه السلام بقيت الكتابة فاصاب كل قوم كتابتهم وبقي الكتاب العربي الى ان خص الله تعالى به اسماعيل عليه السلام فاصابه وتعلمه وحكى ابن قتيبة ان اول من كتب ادريس عليه السلام وكانت العرب تعظم قدر الخط وتعده من اجل نفع حتى قال عكرمة بلغ فداء اهل بدر اربعة الاف درهم حتى ان الرجل ليفادى به على ان يعلم الخط لما هو مستقر في نفوسهم من عظم خطره وجلالة قدره وظهور